بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 9 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:2021\\ م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

الآية الثالثة، قوله تبارك وتعالى: ﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنين﴾[1].

هذه الآية الثالثة المستقلة الكاملة بحسب ترتيب الآيات في المصحف، وإلا فإن الآيات التي تأتي بعدها ترتبط بها، وتأتي بمثابة الوصف للمحسنين، لكن ننظر إليها كآية مستقلة.

من البحوث المهمة في التفاسير، أن يلتفت المصنف إلى ما يسمى بالأشباه والنظائر، وفي القرآن الكريم في غاية الكثرة، وعدم الالتفات إلى النكات الموجودة في الأشباه والنظائر كثيراً ما تؤدي إلى وجود بعض الشبهات، التي قد يترتب عليها بعض الآثار السلبية في العقيدة أو في غير ذلك من معارف القرآن.

هذه الآية الشريفة لها في القرآن الكريم أشباه ونظائر ﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنين﴾ من أشباهها ونظائرها ما ورد في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْواحَ وَفي نُسْخَتِها هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُون﴾[2] وفي سورة يونس جاء قوله تبارك وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنين﴾[3] وفي سورة النمل: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76) وَإِنَّهُ لَهُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنين﴾[4] إذن في بعض الآيات هدى ورحمة للذين يخافون ويرهبون ويخشون الله وآيات الله سبحانه وتعالى، وفي بعض الآيات القرآن والآيات هدى ورحمة للمؤمنين. في سورة البقرة التي مطلعها يشبه مطلع

---

[1] لقمان 3
[2] الأعراف 154
[3] يونس 57
[4] النمل 76-77

سورة لقمان: ﴿الم (1) ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِين﴾[5] وما قال هدى ورحمة، فلابد أن نلتفت إلى النكات الموجودة التي تقتضي الاختلاف بين هذه الأشباه والنظائر.

في البداية في هذه الآية المباركة يوجد قراءتان، أكثر القراء على ما هو ثابت في المصحف هدىً ورحمةً، أي: بالنصب. قرأها حمزة بالرفع، هدىً ورحمةٌ للمحسنين، على تقدير الرفع الأمر واضح، يكون هذا خبر لمبتدأ محذوف، ﴿الم (1) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ (2) هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِين﴾ يعني هي هدىً ورحمةٌ، لا بد من الإضمار، فتكون خبر لمبتدأ محذوف.

أما على القراءة المشهورة التي عليها أكثر القراء، فـ﴿هُدىً وَرَحْمَةً﴾ نصب على الحالية، وهذا له نظير في القرآن الكريم: ﴿هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَة﴾[6] أي: في حال كونها آيةً، ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ في حال كون تلك الآيات ﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِين﴾ فالأمر فيها واضح.

الملفت للنظر: أنه في سورة البقرة بعد الحروف المقطعة، ذكرت الآية نفي الريب عن الكتاب ﴿ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ فلم تذكر إلا الكتاب، من دون أي صفة أخرى غير هذا الحكم المذكور، والكتاب شأنه ومقامه هو كتاب هداية، والعقلية التي تتقي الشبهات، وتسير في عقيدتها وسلوكها، وتسلك سبيل الأتقياء، هي التي تستطيع أن تهتدي من هذا القرآن الذي بطبعه لا ريب فيه، فلذا كان ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِين﴾ فلم يذكر إلا الهداية، وللمتقين، لأهل التقوى.

بينما في سورة لقمان نلاحظ أنه لم يقتصر على الكتاب، في الآية السابقة ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ فبلحاظ الكتاب هو هدىً، وبلحاظ أن هذه الآيات المبثوثة في الكتاب هي آيات حكمة؛ لكونها صادرة من منبع الحكمة والعلم، فبالتالي سوف يكون لها ثمرة وريع ونتيجة غير إنارة الطريق، أنها تكون رحمة، فلذا تقول: ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ بلحاظ الكتاب هدىً، وبلحاظ الحكمة هي رحمة، لكن هذه الرحمة تحتاج إلى قابلية، هي رحمة رحيمية، وليست رحمة رحمانية؛ لأنه من يخرج باختياره عن القابلية لا تناله هذه الرحمة، بل لابد له من قابلية، هذه القابلية توجد في المحسنين، في الذين يحسنون، الإحسان هو إيمان، لكن هو إيمان أنارت شعلته القلب، وسرت إلى جوارح

---

[5] البقرة 1-2
[6] الأعراف 73

فعملت، فالمحسن هو ذلك المؤمن الذي لم يبق في مجال الاعتقاد فحسب ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً﴾[7] فهذا يقال له محسن، يوسف عليه أفضل الصلاة والسلام في الآية التي تصفه بأنه من المحسنين عندما جاءوا إليه في السجن: ﴿إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[8] فقد برز لهم إيمانه بالتوحيد، وكانوا يعرفونه أنه من الموحدين، وأنه يؤمن بإله لا كآلهتهم، لكن الذي عناهم من هذا الإيمان، أن هذا الإيمان عند يوسف عليه السلام له متابعة عملية ﴿نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إذا مرض سجين تعوده، وإذا نقص غذاء عند سجين تعطيه من غذائك، وإذا أهانك سجين تعفو عنه وتتسامح معه، فالإحسان بروز الإيمان على الجوارح، فهذه الآيات التي نبعت من الحكمة الإلهية هي رحمة لهذه الطائفة؛ لأنهم من خلالها اهتدوا، ومن خلالها نظموا علاقاتهم مع إخوانهم في الإيمان، ومن خلالها نظموا ارتباطاتهم مع إخوانهم في الخلق، ومن خلالها عرفوا كيف يتصرفون مع نواميس الحياة وما هو قائم في الكون، فكانت رحمة لهم.

إذن هذه الآيات ﴿آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ باعتبار أنها أنزلت على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لهداية الناس، فهي ﴿هُدًى﴾ ولها فائدة أخرى هي ﴿رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ فإذا أردنا أن ننجح في هذه الحياة، مثل هذه الشبهة التي جعلت البعض يذهب إلى ما يسمى بالتعددية الدينية، إلى أن نقول: بالنجاة والخلاص لكل الأديان، وأن الإسلام مثله مثل سائر الأديان، كما يوجد خلاص في الإسلام يوجد في الأديان، ولا خصوصية في الإسلام، بل حتى الذين لا يتبعون ديناً معيناً لهم الخلاص، هذه نظريات الآن موجودة وتكتب وتنشر، وهناك من يدافع عنها[9]، فجاؤوا من خلال ذلك يقولون: أنه إذا كان لا يوجد نجاة لكل البشرية، يعني المشروع الإلهي فشل، الأنبياء فشلوا ولم ينجحوا في دعواهم، إذا نقول فقط الخلاص لهؤلاء، وهذا يعني عند بعض الإسلاميين الذين يتبنون هذه الفكرة، الجواب واضح، القرآن الكريم بصريح آيات متعددة يبين أن الأكثرية فاسقة، الأكثرية منحرفة، الأكثرية ظالمة، في آيات متعددة، ونجاح مشروع الإلهي والمشروع الكوني بعقيدتنا ليس إلا بالضرورة أن يكون في كل مرحلة مرحلة، بل بحسب الوعد الإلهي النجاح الكامل لهذا المشروع الإلهي يتحقق في آخر الزمان، النجاح

---

[7] البقرة 62

[8] يوسف 36

[9] خصوصاً عند أولئك الذين تتلمذوا في السوربون وعند أساتذة من اليهود وما شابه ذلك، وانتشروا في البلاد الإسلامية، وللأسف سرت بعض أفكارهم حتى إلى بعض من درسوا في الحوزات الدينية.

الكامل ونشر كل مفاهيم السماء والعدالة وما شابه ذلك بمعناها الكامل يتحقق على يد مخلص البشرية إمامنا المولى صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولا يعني ذلك أنه هناك فشل كامل أو هناك لا يوجد نجاحات مرحلية، لا أريد أن أدعي هذه الدعوى، وبهذه الآية تقول حتى يستفيد البشر من هذه الآيات ومن هذا الكتاب الذي هو مشروع هداية للبشرية جمعاء، حتى يستفيدوا منه في سورة البقرة تقول: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِين﴾ وفي هذه السورة تقول: ﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِين﴾.

نعم، ووظيفة النخب المتقية والمحسنة أن تأخذ بيد غيرها لتدخلهم في سلك التقوى والإحسان حتى يستفيدوا من هذا الإيمان، وحتى يستفيدوا من هذه الهداية ومن هذه الرحمة، وإلا فحينئذ ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾[10].

[10] الروم 44